CEVHER, M. "Kur'ân'a Göre Musa (A.S.) Kıssasında Stratejik Planlama" *el-Mecelletu'l İlmiyyetu'l-Muhakkemetu li-Riaseti'ş-Şu'uni'd-Diniyyeti'l-Turkiyye* 2 (2020): 66-89

KUR'ÂN'A GÖRE MUSA (A.S.) KISSASINDA STRATEJIK PLANLAMA

STRATEGIC PLANNING IN THE STORY OF "MOSES" AS MENTIONED IN THE HOLY QURAN

MESUT CEVHER
DR. ÖĞR. ÜYESİ
KIRIKKALE ÜNİVERSİTESİ / İSLÂMİ İLİMLER FAKÜLTESİ

ÖZ

Planlanmayan her iş başarısızlığa mahkûmdur. Kendi yaşamları için planlama yapmayan kişi ve toplumların, başkalarının planlarının bir parçası olacaklarına şüphe yoktur. Kur'ân kendisine uyulmak için insana gönderilmiştir. Yeryüzünde Allah'ın emirlerine göre bir medeniyet inşa etmek için onun yöntemine uygun davranmak gerekir. Kur'ân insanlığa göstermiş olduğu bu stratejik ilkeleri öğrenmek ve uygulamak, onun gönderiliş amacına uygun davranmaktır. Bu nedenle bu çalışma, Musa (a.s) Kıssasının stratejik planlama yönünü inceler. Çünkü dünyada ilerleme kaydetmek ve ahirette Allah'ın rızasını kazanmak için bu stratejik planlama unsurlarını bilmek ve uygulamak kaçınılmazıdır.

Anahtar Kelimeler: Stratejik Planlama, Musa (a.s) Kıssası, Kur'ân-ı Kerim, Yönetme.

ABSTRACT

Unplanned work is definitely doomed to failure. The person or the society that does not plan for his life becomes a part of the plans of others and the Holy Quran came so that people live and work with it and so that they build the civilization upon the approach of god thus it must contain lessons about strategic planning and this study will reveal the aspects of planning in the story of "Moses" since it is important to learn these lessons and to apply them in our lives in order to achieve advancement and prosperity in life and to win the blessing of god in the afterlife.

The study will use the descriptive analytical methodology so that it collects the information and then classifies it in a scientific way according to research points. After that the study will analyze the information to be able to reach the facts scientifically. Moreover, the study will depend on the Holy Quran and consider the original exegesis (interpretation) books as references. In addition, the study will not overlook modern interpretations and academic studies. It will also be as a new door for researchers in the field of Holy Quran and its sciences since it addresses a very new subject that needs studying and scrutiny as it serves a vital aspect in the life of all humanity and not just a religious study for those who are Muslims.

Keywords: Strategic planning, The story of Moses, Holy Quran, Leadership.

مسعود جوهر "التخطيط الاستراتيجي في قصة موسى كما وردت في القرآن الكريم"
المجلة العلمية المحكمة 2 (2020): 66-89

التخطيط الاستراتيجي في قصة موسى كما وردت في القرآن الكريم

مسعود جوهر
عضو هيئة التدريس الدكتور
جامعة كريك قلعة/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص

إن العمل الذي لا يخطط له عمل، محكوم عليه بالفشل. وإن الإنسان أو المجتمع الذي لا يخطط لحياته هو جزء من مخططات الآخرين، وقد جاء القرآن ليحيا به الناس، ويبني الحضارة في الأرض وفق سنة الله؛ ولذلك لابد أن يحتوي دروسا في التخطيط الاستراتيجي، وسوف تقوم هذه الدراسة بالكشف عن جوانب التخطيط في قصة موسى، لأن من الضروري أن نتعلمها، ونطبقها في حياتنا؛ لنحقق التقدم والرقي في الدنيا، ونفوز برضوان الله في الآخرة.

وإن الذي يتدبر القرآن الكريم عامة، والآيات المتعلقة بقصة موسى عليه السلام خاصة ليجد شواهد هذا التخطيط، فلم يكن عبثا أن يولد موسى عليه السلام في تلك الظروف العصيبة، كما لم تكن أحداث القصة منذ ملاحقة جند فرعون لهذا الرضيع وحتى إعلان الدعوة لم تكن خبط عشواء، وليس صدفة أن يربى في بيت فرعون، بل هي الصناعة الربانية، أو تدبير من يدبر الكون، وهذا هو التخطيط الذي تقوم الدراسة بتحليله وعرض نتائجه.

وحين نتناول هذا الجانب التخطيطي في القصص القرآني فإننا لا نعتني بسرد الأحداث، بل نحاول تحليلها، والوقوف على الهدف الذي أوردها القرآن من أجله.

وسوف تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بحيث تجمع المعلومات، ثم تصنفها بشكل علمي حسب المباحث، ثم تقوم بتحليلها، وذلك بغرض الوصول إلى الحقائق بشكل علمي. وسوف تعتمد الدراسة كذلك على القرآن الكريم، وتتخذ كتب التفسير الأصيلة مراجع

لها، ولن تغفل التفاسير والدراسات الأكاديمية الحديثة. وستكون هذه الدراسة بمثابة باب جديد للباحثين في مجال القرآن الكريم وعلومه، لأنها تطرق موضوعا بكرا، يحتاج إلى الدراسة والتدقيق، لأنه يخدم مجالا حيويا في حياة البشرية جمعاء، وليس مجرد دراسة دينية لمن يعتنقون الإسلام.

تمهيد:

تمثل قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم نموذجا من نماذج صراع الحق مع الباطل، وفيها تفاصيل لهذا الصراع، كما تبين استعداد كل طرف ليفوز على عدوه، ورغم أن الحق يسانده الخالق تعالى فإنه يعد العدة، ورغم قدرته عز وجل أن يقول للشيء كن فيكون فإنه يسلح المدافعين عن الحق بالأسلحة التي تناسب التحدي. فمن يدير الصراع على الأرض هم جند الله الذين أراد لهم الهداية، ولكنه طلب منهم التضحية وبذل النفس والنفيس، وهو لم يتركهم وحدهم يواجهون عدوه، بل تعهدهم بالتربية، وسلحهم بالعلم، ومكنهم من أسباب النصر، وأرشدهم إليها، وتركهم يجربون ويخطئون، ثم صوب خطأهم ، وقوم معوجهم، ليكونوا أهلا للرسالة، وحملة للأمانة.

ولعلنا نتساءل هنا: لماذا لم ينصر الله أهل الحق بجند من عنده مباشرة؟ ولماذا تركهم يعانون من ويلات العذاب على يد فرعون وجنوده؟ ولماذا أمد فرعون بالقوة ؟

إنها سنة الله في تربية الأمم التي تتبنى الحق وتدافع عنه. فلا بد من التضحية في سبيل المعتقدات، {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ...[1]}، ولا بد من التطبيق العملي لما يعتقدون، وبهذا تسمو الفكرة، وينضج معتنقوها، ويخلصون في خدمتها، فتكون النتيجة الحتمية صلاح الناس، وإصلاح الأرض، وانحصار الفساد، وعمارة الأرض وفق سنة فاطرها، ثم إن الحياة الدنيا اختبار لا بد لمن يدعي الإيمان أن يجتازه.

[1] البقرة: 214/2.

وحين نحلّق في سماء الجو القرآني للقصة نجدها تتمركز في محورين أساسيين:

الأول: محور الخيرأو الحق، ويمثله موسى وهارون عليهما السلام ومن معهما من المؤمنين.

الثاني: محور الشرأو الباطل، ويمثله فرعون ومن حوله من الفاسدين المفسدين.

ورغم أن إرادة الله هي إصلاح الأرض ونصر الحق، إلا أنه يرشد أهل الحق إلى وسائل النجاح، ويهيء لهم أسباب النصر، ولكنه يريد منهم أن يأخذوا بالأسباب، ويعدوا العدة في مقاومة الشر، ولذلك كان الأمر القرآني {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ...[2]}. وقد تنوع تفسير القوة في الآية؛ ففسرها بعض المفسرين على أنها القتل للأعداء[3]، وفسرها صاحب الإرشاد على أنها كل ما يتقوى به في الحرب[4]. والخطاب فيه تكليف لعامة المؤمنين، فإذا قاموا بواجبهم وعملوا ما في وسعهم حالفهم النصر، وتحقق وعد الله لهم بالتمكين {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...[5]}. والآية واضحة في لفظها، صريحة في بيانها، ففيها وعد للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالتمكين في الأرض، وترسيخ قواعد دينهم، وفيها إخبار بالغيب من الله تعالى، وقد تحقق وعده وثبت إعجاز كلامه[6]. والإيمان الذي اشترطته الآية للتمكين يشمل جميع مناشط الحياة، ويستغرق كل حركات المسلم، فهو يتحرك وفق أصوله، ويعمل بشروطه، وينهض بواجباته. والتمكين هنا هو تمكين للإعمار وإقامة الحضارات، وليس تمكين للهدم والتجاوزات، وهو تمكين للعدل، وليس تمكينا للظلم، ولذلك تحقق التمكين للأمة الإسلامية في عهد النبوة؛ لأن المجتمع المسلم حقق شرطي الإيمان والعمل الصالح،

2 الأنفال: 60.
3 ابن أبي زَمَنِين (2002م)، 2: 184، 185، ابن كثير (1999م)، 4: 80.
4 أبو السعود (بدون تاريخ)، 2: 32.
5 النور: 55.
6 الواحدي، (1430 هـ)،6: 26.

واستمر في عهد الخلفاء الراشدين لاستمرارهم على العهد. أما حين حل بالأمة ما حل بعدهم، وغيّر المجتمع المسلم ما في نفسه، غيّر الله حالهم[7].

ولهذا فإن ما يجدر بأمة نزل القرآن لإحيائها أن تتدارسه، وتستنبط منه ما يصلح حياتها، ويساعدها في تحقيق المهمة الأصيلة لها، ألا وهي إعمار الأرض، وبناء الحضارة، ونفع الإنسانية والكون الذي نحيا فيه. وهذه الدراسة خطوة في تلمس ما يفيد لهذا الغرض، ويساعد على القيام به.

الكلمات المفتاحية: التخطيط الاستراتيجي- قصة موسى- القرآن الكريم – الإدارة.

الدراسة:

في محاولة لفهم الدرس التخطيطي الذي يلهمنا القرآن الكريم إياه، جمعت الدراسة أهم الجوانب التخطيطية التي يمكن أن نتعلمها من قصة موسى عليه السلام في المباحث التالية:

المبحث الأول: دراسة الميدان:

تتبين أهمية هذه الدراسة الميدانية من خلال ما يسرده النص القرآني عن فرعون وطغيانه، وما قام به من ظلم وتنكيل. فمن لايعرف طبيعة الميدان فلن يستطيع مواجهة الأعداء، ولن يرى المنافسين، وسيعجز عن كسب تأييد المؤيدين، وستفقد قضيته قيمتها، وتكون الخسارة نهايتها. ولذلك، فإن دراسة الميدان وفهمه أساس النجاح في كل عمل، مهما كانت طبيعته، ومهما اختلفت غايته.

ومن أهم ما يكشفه النص القرآني الحركة الاستباقية التي قام بها فرعون. فعندما علم أن ملكه سوف ينهدم على يد غلام يولد في بني إسرائيل، أمر بقتل جميع الأطفال الذكور، وهي محاولة يائسة منه للحفاظ على الملك، فهو يحطم مستقبل شعبه. وفي الحقيقة يدمر بذلك ملكه، لكن هذا هو منهج الطغاة الظالمين في كل عصر، ينظرون تحت أقدامهم،

[7] قطب، سيد، (1987 م)، 4: 2582، 2529.

ويدمرون الأخضر واليابس لتحقيق أطماعهم، ولا يبالون إذا قتلوا الأبرياء، ولا يتحملون الناصحين والشرفاء، فهم بعيدون كل البعد عن سعة الأفق، يحكم عليهم قصر نظرهم بالفشل، وهم لا يشعرون.

ثم يكشف النص أعمال المخابرات والتعقب التي تديرها إدارة فرعون، فهم يتحسسون الأخبار، وبمجرد معرفة أن المولود ذكر تأتي القوات المكلفة بالقتل، فتقوم بدورها المرسوم، ويسوغ لها المسوغون ما ترتكبه من جرائم، فهي تدافع عن الدولة التي حصرت في شكل الطاغية، أو تحارب الفساد والتفرقة من وجهة نظر الطبقة الحاكمة. فليس بمستغرب إذن أن تصل الوقاحة ذروتها، ويبلغ الرعب الذي تملك فرعون مبلغه. حينها يعلن فرعون أن موسى يريد نشر الفساد في الأرض {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ[8]}، وليس بمستغرب أن تجد حماقة القوم تسوقهم إلى تحريض فرعون على موسى وهارون، ووصفهما بالفساد[9].

المبحث الثاني: تربية القيادة المناسبة للمجتمع :

لا شك أن القيادة الناجحة لها الدور الأبرز في تغيير المجتمعات، ولذلك نجد في قصة موسى أن النص القرآني بين أهميتها في عبارة بليغة وجيزة. فندرك منذ اللحظة الأولى أن الله تعهد بتربية موسى عليه السلام منذ نعومة أظافره، وأنه هو الذي يرعاه في كل لحظة[10]. فنحن نعرف أن عين الله لا تنام، فإذا كانت الصناعة على عين الله فهذا يعني استمرار المتابعة، ودوام الرعاية والعناية، ثم إن عدم إسناد مهمة العناية لأحد من البشر لَيُوحي بخطورة المرحلة. ومن هذا يمكن أن تتعلم القيادةُ المسلمة أنّ متابعة الأمور المهمة ينبغي أن تباشرها القيادة الحكيمة بنفسها، حتى لا تدع مجالا للخطأ، ولكي لا يبنى على أساس خاطئ، ولا يفيد الندم عندما يتم اكتشافه.

8 غافر: 26.
9 الخطيب (1970م)، 12/ 1218.
10 Gündüzöz, Soner (2004), 283.

وفي قصة موسى عليه السلام نجد التعهد الرباني له يبدأ قبل ولادته، فيهيء له المناخ المناسب لحمايته من بطش فرعون، ثم يتعهده الله تعالى في كل حركة وسكنة، فلا يغيب عن عين الله لحظة[11]. كما لخص القرآن هذا في قوله تعالى: {...وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي[12]}، ثم يهيء له أسباب النجاة حينما تتعرض حياته للخطر، فيكون الوحي لأمه: {أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ...[13]}، وعندما يصل إلى بيت فرعون يلقي عليه المحبة، لتكون وسيلة لحمايته، كما ستكون وسيلة لتربيته أفضل من أي تربية يمكن أن ينالها أقرانه، فيترعرع في بيت الملك، ويحاط بكل أنواع الحب والرعاية. ويكفينا دلالة على هذا الحب والرعاية ما حكاه القرآن على لسان امرأة فرعون من قولها: فقد قرت عينها به، ولم تكتف بذلك لنفسها، فجعلته قرة عين للملك، ولم يعترض على ذلك فرعون الطاغية؛ فقد وقع أسيرا في محبة موسى التي ألقاها الله عليه[14].

وتبدأ رحلة البحث عن مُرضِعة لموسى، ولكن العناية الإلهية جعلته يمتنع عن الرضاعة من غير أمه، وهو ما بينه الأسلوب القرآني في قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ[15]}. هذه إذن هي الإرادة والتخطيط الرباني، أن يمتنع موسى عن الرضاعة؛ فتتلهف عائلة فرعون للعثور على المرضعة التي يقبلها، ويشتد طلبهم لها، فيصل خبر ذلك إلى أخته التي كانت أمها أمرتها بتعقب أثره، ويستمر التعهد الرباني لموسى عليه السلام[16]. ومن الحكمة أن أخته حين عرضت عليهم هذا شَكُّوا في أمرها وأمره، فسألوها: وكيف تعرفين ذلك؟ فقالت: هم يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الملك وطلبا لعطائه[17].

11 الزمخشري (1407هـ)، 3/ 63.
12 طه: 39.
13 طه: 39.
14 ابن عاشور (1984)، 16/ 217.
15 القصص: 12.
16 الصابوني (1981 م)، 2/ 7، السيوطي، (1997م)، 508.
17 الصابوني، (1946 م)، 20/ 40 .

المبحث الثالث: وضع الخطط وفق الدراسة الميدانية:

نجد نموذج التخطيط الاستراتيجي هنا واضحا، حيث إن الحق تعالى لو أراد لأهلك فرعون وجنوده من اللحظة الأولى، ولكنه يُعَلّم القيادة المسلمة أن عليها وَضْعَ الخطط والأخذ بكل أسباب العلم. والخطة هنا تناسب البيئة التي وضعت لها، وترتقي إلى مستوى الحدث، فالصراع بين أعتى قوى الظلم والطغيان والحق المتمثل في موسى الرضيع. ولا يخفى على عاقل أن موازين القوى في هذا الصراع -على المستوى الدنيوي- بيد فرعون، وأن موسى الذي يمثل الحق لا يتحمل ريح هذا الصراع. فلا بد هنا من تدخل العناية الربانية، ولا بد من خطة تنقذ مستقبل الداعين إلى الحق.

وكانت الخطة أنه إذا ألم الخطر بموسى أن تقوم أمه بما تملك من الأسباب المادية. وأول ما تقوم به هو أن ترضعه، ثم تضعه في الماء، ثم يصل موسى إلى قصر فرعون، فيربى هناك، ويتعلم ما يؤهله للقيادة من المهارات الدنيوية، كما يتعلم من فنون القتال ما يمكنه من الدفاع عن دعوته، ويتعلم من فنون الخطاب ما يتمكن به من هزيمة الأجهزة الإعلامية الفرعونية مجتمعة، ثم تبدأ مرحلة الصراع بين الحق والباطل على المستوى الواقعي، فيصدح موسى بالدعوة، ويؤمن به من آمن، وهو في هذه المرحلة محمي بالحب الذي ألقاه الله عليه، ثم يغادر الديار بسبب الخوف من بطش فرعون، ثم يستجمع موسى قواه ويعود لمواجهة الباطل في عقر داره من جديد، فيحدث الصدام المتوقع، وتجهز دولة الباطل أسلحتها، وتحدد وسيلة الحرب التي تتقنها، ألا وهي السحر، ثم يظهر الله الحق والباطل، فيؤمن الناس، ثم تبدأ مرحلة الابتلاء والتمحيص، وتتوالى نقم أهل الباطل، ثم يكتب الله لدعوته النصر، فيغرق فرعون وجنوده[18].

المبحث الرابع: تطبيق الخطط الاستراتيجية:

ويأتي دور التطبيق للخطة، فتجد النظرية الطريق إلى الحياة، وعندما يبدأ جيش الباطل بالزحف تجاه أهل الحق يبدأ التطبيق العملي، فأوحى الله إلى أم موسى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

18. Kara, Necati. (1998), 230 .

فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ[19]}. والأمر هنا بما تقدر عليه من أفعال، وما تتطلبه عاطفة الأمومة، ثم تقوم بما لا تستطيع الأم القيام به إلا بمشقة، أي تتخلى عن وليدها، وحتى لو كان التخلي ظاهريا -كما سنرى- فليس بالأمر الهين على الأم، ثم تقوم بعمل هو بمقاييس البشر وهو تعريض فلذة كبدها للخطر، حيث ستلقيه في اليم. ومهما قيل عن التدابير التي يمكن أن تتخذها الأم كي لا يغرق وليدها، فإن العاطفة تمنعها من فعل ذلك، ولكن هذا هو السبيل الأضمن لحمايته؛ فأينما خبأته أمه في البر فسيصل إليه الجند المأمورون بقتله، وسوف تكون هذه هي نهاية المشروع الدفاعي للحق. ولا يخطر على بالهم أن أُمًّا سوف تلقي بطفلها وحيدا في اليم[20].

ثم تتدخل العناية الإلهية بأن تجعله يصل في أمان إلى قصر فرعون. وهل يمكن أن يكون وصوله إليه نجاة؟ نعم، إن وصوله كان نجاة له، فقد ألقى الله محبة منه على موسى، ففرحت به امرأة فرعون، وكان أول ما قالت للملك: {...قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...[21]}، فتح الله له القلوب المغلقة[22]. وهنا يتبين جانب من جوانب دلالة قول الحق: {...وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي[23]}، فقد جعل فرعون الذي قتل أطفال القبط (بني إسرائيل) حتى لا يظهر النبي المنتظر منهم هو من يربيه. نعم، جعله يربي في ملكه من سيهدم دولة الباطل، وينشئ دولة الحق التي قضى فرعون عمره في حربها.

المبحث الخامس: متابعة التنفيذ وتصحيح الأخطاء:

ومن أهم العناصر في نجاح التخطيط المتابعةُ الجيدة في مرحلة التنفيذ، وتعديل المسار قبل الوقوع في الخطأ؛ لأن الإدارة الحكيمة يجب أن تتوقع جوانب القصور وفق المعطيات، وتستشرف الأخطاء المحتملة، وتضع العلاج المناسب، ويجب أن يكون كل هذا قبل وقوع الخطأ. ونتعلم هذا

19 القصص: 7.
20 أبو حيان (1420 هـ)، 8/ 286.
21 القصص: 9 .
22 أبو زهرة (1987)، 9/ 4725.
23 طه: 39.

الدرس مما حدث حينما أمر الله أمَّ موسى أن تلقي بوليدها في البحر، ولأن علم الله بفطرتها سابقٌ للحدث، فقد علم الله أن أُمومتها يمكن أن تتغلب على عقلها، وفي حال حدوث ذلك ستفشي أمر موسى، وتعرض المشروع الدفاعي للحق كله للخطر. وهنا تتدخل العناية الربانية، فتربط على قلبها، فتجعلها في اطمئنان، وتحتفظ بسِرّية المشروع الضعيف، وتحجب الرياح العاتية عن شمعة الحق، كي لا تنطفئ.

ومثال آخر على ذلك، أن الحق سبحانه يعلم الخوف الفطري في نفس موسى، ويعلم أنه سيواجه أمهر الخلق في عالم السحر، وسوف يرتبط الفوز أو الخسران بالحالة النفسية له، وبقدر ثبوته على الحق سيكون تأثيره في نفوس مخاطبيه. ولو ترك الله موسى يرى أحبال السحرة كالأفاعي المتحركة دون تدريب لَوَلَّى مهزوما، ولخسرت القضية مناصريها، وَلَازْداد أهل الطغيان طغيانا؛ ولذلك جاء دور الإعداد والتربية في تلافي هذا الخلل المحتمل الوقوع، فكان خطاب الحق له: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى[24]}. وقد اضطررنا هنا لذكر الآيات دون الاكتفاء بالإشارة إليها لأنها تشرح الفكرة التي نتناولها في هذا المقام شرحا وافيا، وتبين كيف تمت عملية التدريب لموسى عليه السلام بشكل واضح. وأول ما يلفت النظر هنا أن التدريب تم مباشرة من قبل الحق سبحانه وتعالى دون وسيط، وهو ما يبين أهميته التي يوليها الله له، وتجعلنا نتعلم أن المهام الصعبة لابد أن تعدّ قياداتها بشكل دقيق، وتعلمنا حتمية أن يكون التدريب لهذه العناصر على أعلى مستوى، أو بعبارة أخرى لا بد أن يكون التدرب على مستوى المنصب الذي نريد إسناده لهذه القيادات في المستقبل، كما تعلمنا أن كل هذا يجب أن يراعي متطلبات البيئة ومقتضيات العمل. فاختيار العصا لتكون وسيلة تعليمية هنا ليس عبثا، وتحولها إلى حية تسعى ليس اعتباطا، بل هو يتناسب

[24] طه: 17-24.

مع بيئة المخاطبين الذين برعوا في السحر، ولأن هؤلاء السحرة هم الوسيلة الإعلامية المتاحة لفرعون فلن يتردد في استخدامها، وسوف يكون التحدي مبنيا على ما برع فيه القوم[25].

ولو تخيلنا أن فرعون جمع الناس، وجاء بأمهر السحرة، وحفزهم بكل المحفزات، ثم جاء موسى دون تدريب سابق، فواجه أحبال السحرة التي تبدو له ثعابين ضخمة، فامتلك الرعبُ موسى، فولى هاربا ولم يعقب، لو تخيلنا ذلك يحدث أمام الناس، تُرى هل كانوا سيؤمنون ويتبعون موسى عليه السلام؟ أم كانوا سيتبعون السحرة الذين يعبدون فرعون ودنياه؟ والإجابة حتما أنهم كانوا سيتبعون السحرة، ولذا ستكون النتيجة الحتمية فشل دعوة موسى، واستعلاء الفساد في الأرض، وهذا ما لا يريده صاحب الدعوة[26].

فإذا علمنا أن المهمة كانت صعبة للغاية، وأن سحرة فرعون كانوا من أمهر الناس في السحر، وإذا عرفنا أن موسى- رغم هذا التدريب الذي لا يدانيه تدريب- خاف عندما رأى سحر السحرة، وأوشك على الفشل لولا تدخل العناية الإلهية بالوحي لتثبيته، إذا علمنا كل ذلك فهل يمكن أن نتوقع النجاح لعمل لم يخطط له، وهل يمكن أن ننتظر من قائد لم يحنك بالتدريب ولم يجرب بالمواقف المختلفة، هل نتوقع له النجاح؟

ولا يغيب عنا هنا أن القصص القرآني جاء ليخدم الهدف الأساسي للقرآن الكريم ورسالته، فلا يمكن أن نتخيل أن هذا القصص الذي يكاد يمثل نصف آي القرآن الكريم يشط عن الهدف أو يحيد عنه[27]، بل يستخدم القرآن الكريم القصص بأسوب يحقق الغرض، ويصل إلى الهدف بشكل لطيف، وهو ما لا يمكن أن يقوم به غيره من الأساليب.

وهذا هو الموقف كما حكاه القرآن الكريم لنا: {قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا ... * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ

[25] القشيري، (2000م)، 2/-450 452)، القرطبي، (1964م)، 11/ 186-190)، المظهري، (1412 هـ)، 6/-133 135.

[26] الماوردي، (بدون تاريخ)، 3/ 339.

[27] ŞENGÜL, İdris. (1996), 63 .

مَاصَنَعُوا ...[28]}، فإننا نرى موسى يعرض على السحرة الإيمان، ويدعوهم إلى البعد عن الاختلاق على الله. وبسبب حسن الدعوة وحسن العرض يتأثر السحرة، ويوشكون أن يؤمنوا قبل أن يستعرضوا، ولكن ميل بعضهم إلى الدنيا يمنعهم، فيرفضون العرض الإيماني، ويشرعون في الدفاع عن الباطل، وبسبب مهارتهم يخاف موسى الخوف الفطري، أو يخاف أن يفتتن الناس بالسحرة قبل أن يلقي عصاه، وهنا تتدخل العناية الإلهية لتثبيته، وتبشره بالنصر؛ فيثبت، ويتحقق وعد الله[29].

ومهما احترزت الإدارة الحكيمة من الأخطاء فهي واقعة، لأن العنصر البشري لا بد له من الخطأ، ولكن المهم في هذه الحالة هو تصحيح الأخطاء فور وقوعها، وهذا ما حدث خلال قصة موسى في النص القرآني، فقد اعترف موسى بخطأه حينما وكز عدوه الذي كان يقتتل مع أحد أنصاره، والتعبير القرآني بالوكز يوحي أن موسى لم يرد قتل عدوه، ولكنه أراد رده، فلما قضى عليه بسبب الوكز اعترف على الفور أن هذا خطأ، وأنه من عمل الشيطان؛ فقال: {... فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ[30]}، وقد تعلم موسى الدرس، بعد مقتل الإسرائيلي الأول {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ[31]}، فكان بيانه للإسرائيلي بأنه ضال مضل واضح الضلال، وفيه بيان الندم على قتل القبطي الأول كما وجهه معظم المفسرين[32]، ولأنه يريد أن يترك أنصاره يظلمون دون أن يدافع عنهم، فلما أراد أن يعاقب المعتدي المحارب خاف الخصم، ووجد أن السبيل إلى النجاة هو تذكير موسى بالهدف الذي بعث من أجله فقال: {...يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ

---

[28] طه: 65- 69.

[29] ابن لطف الله (1992 م)، 8/ 250- 253، الإستانبولي (2002 م)، 5/-401 407، الجصاص (1405هـ)، 5/ 52-54، ابن عجيبة (2002 م)، 3/-398 402.

[30] القصص: 15.

[31] القصص: 18.

[32] الشعراوي(1997 م)، 10900، 10901، العاني (1965 م)، 2: 359، 360، البغوي (1997 م)، 6/ 189) السعدي (1970م)، 316.

نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ}[33].

وقد تعلم موسى بهذه المواقف المتكررة الصبر وكظم الغيظ، فحينما رجع من موعده مع ربه ووجد أن دعوته كلها في مهب الريح تملكه الغضب، ولكن غضبه هنا كان لله، ولم يكن غضبا شخصيا نابعا عن نقص، أو نفعيا ناتجا عن خسارة أو فوات نفع، ورغم عظم المصيبة فقد عاقب أخاه بأن عاتبه {... وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[34]} ولما نبهه أخوه تركه، فقد سيطر على غضبه؛ فقال: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[35]}، وتأتي بعد ذلك مرحلة جديدة، يتعلم فيها موسى من الخضر أنواعا أخرى من الصبر، مما يصقله صقلا.

المبحث السادس: الحصاد نتيجة للغرس:

ومن أهم جوانب التخطيط الاستراتيجي أن يبني من أراد السكنى، ويزرع ويغرس من أراد أن يأكل ويستظل، فلا بد من الاستثمار لضمان المستقبل، وفي قصة موسى عليه السلام نجد نموذجا للاستثمار غاية في الرقي، فهو يقدم الخير لمن يعرف ولمن لا يعرف، ولا ينتظر جزاء ما قدم ولا يطلبه، فعندما وجد ابنتي شعيب عليه السلام – وهو لا يعرفهما- قد جاءتا تسقيان الغنم، ولكنهما انزوتا بعيدا عن الماء، أدرك بفطنته أن هناك ظرفا غير اعتيادي قد أجبرهما على ذلك[36]، فسألهما: {مَا خَطْبُكُمَا} تحسس ليعرف حقيقة الأمر، ويتأكد قبل أن يتدخل، فلما {قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ[37]} فقد شرحتا له سبب امتناعهما عن مزاحمة الرعاة، وبينتا له الظرف الاجتماعي الذي أجبرهما على القيام بهذه المهمة الصعبة، سقى لهما، ولم ينتهزها فرصة يتجاذب فيها أطراف

33 القصص: 19.
34 الأعراف:150.
35 الأعراف:151.
36 الطبري (2000 م)، 19/ 555.
37 القصص:23.

الحديث، ولم يطلب أجرا[38]، بل {تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ[39]}، هكذا بالتعبير القرآني تولى إلى الظل، وكان شيئا لم يكن، ثم يحمد الله على نعمه، ويسأله من فضله.

ومع أن موسى لم يكن يطلب الدنيا بما فعل، فإن هذا لا ينفي أن ما غرسه أثمر أفضل الثمار، فكان سببا في أن يلتحق بشعيب عليه السلام، فيجد عنده الأمن والأمان، ويفوز بالسكنى والاطمئنان، ويتعلم من مدرسة النبوة ما لم يتعلمه في قصر فرعون، وهو ما يحتاج إليه كل نبي من شرف الغاية وجميل الطباع؛ فقد أبلغت البنتان والدهما ما حدث معهما، وزادت إحداهما فوصفت أخلاقه ونبله وقوته {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ[40]}. وعرضت هنا لأبيها برغبتها في الزواج منه، ففهم أبوها طلبها، فقال لموسى: { إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ إِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ[41]}.

هكذا جعلتنا الآية نعيش المشهد وكأننا نرى الفتاة العفيفة الخجولة بأم أعيننا. نعم، نراها مقبلة يكسوها الحياء، ويزينها الوقار، نراها تنسب الدعوة لأبيها مع أنها هي صاحبة الدعوة في الحقيقة، وتربط الأمر بالأجر مقابل ما قام به من عمل، تحرك أمام أعيننا[42]، فتقول: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ...[43]}. فترى الآية الكريمة ترسم الصورة وكأنها مشهد يمثل أمام أعيننا، نرى الفتاة العفيفة الخجولة تمشي وقد كساها الحياء، وغطاها الأدب الجم الذي نالته في بيت النبوة، فتبلغه دعوة أبيها له، ويدخل موسى على شعيب فيربح الأمن

38 الزحيلي (1422 هـ)، 20/ 71،72، الناصري (1985م)، 4/ 500- 504، الشعراوي، (1997م)،10903 – 10907.
39 القصص: 24.
40 القصص: 26.
41 القصص: 27.
42 الماتريدي (2005 م)، 8/ 161، 162.
43 القصص: 25.

أول ما يربح، فقد قص قصته عليه فكان جوابه: {... لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[44]}.

ويحقق موسى أكبر الأهداف الاستراتيجية بفضل الله ثم بفضل ما قدم من معروف؛ فيتزوج سليلة العفاف، ويرتبط اسمه بشرف النبوة، فيؤسس اللبنة الأولى في مرحلة حياته الجديدة، كل هذا دون أن يتكلف شيئا. وقد يقول قائل: إنه دفع سنوات عمره مهرا لزوجته، وذلك وفق بنود العقد المبرم مع أبيها. وحقيقة الأمر لوتفحصنا سنجد أن موسى كان ينبغي أن يدفع مصروفا باهظا مقابل مجرد الإقامة مع شعيب. فلو قسنا هذا بما يتكلفه طالب يريد تعلم لغة غربية (جديدة) اليوم لعرفنا عظم الفضل الذي غمره به شعيب، وخصوصا إذا نال شرف السكن مع عائلة مثقفة، ناهيك أن تكون العائلة قريبة من القصر الملكي أو الرئاسي. ولو رفعنا سقف التوقعات فقلنا إن الطالب سيسكن في القصر الملكي أو الرئاسي، ويتعلم على يد أفضل علماء الدولة، ترى كم تكون التكلفة المالية؟ وكم تكون التنازلات التي سيقدمها للفوز بمثل هذا المقعد التعليمي؟ نعم، لقد فاز موسى بأشرف مقعد للتعليم في أشرف بيت. وأما عمله الذي قام به فلا يعدو أن يكون عملا تدريبيا تربويا، يؤهله لتحمل المسؤوليات التي ستلقى على عاتقه، فمعظم الأنبياء قاموا برعي الغنم؛ ليتعلموا الصبر بشكل عملي من خلال هذه المهنة. وكأننا اليوم ندرب معلم المستقبل ونرشده ونؤهله، فهل يحق له طلب الأجر مقابل هذا التدريب الذي نقدمه له؟

نعم، لقد استثمر موسى فربح البيع، ففاز بالسكن والأمن والتعليم والزوجة، فاز بكل هذا دون عناء أو مشقة، فقد كان من بنود العقد أن لا تكون فيه مشقة {...وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ[45]}،ولم يتحقق له ذلك إلا بفضل ما قدم من استثمار، وما زرع من شجر ليحصد الثمر.

ومن أهم ما يلفت النظر هنا في النص القرآني التعبير الدقيق عن العواطف، فقد صور لنا المشهد وكأننا كنا نعيشه، وجعلنا ننتقل إلى الساحة

[44] القصص: 25.
[45] القصص: 27.

وكأننا نحيا المشهد، ولم يجعلنا مجرد مشاهدين له. ورغم جمال العبارة القرآنية ودقة التصوير فإنها لاتخدش الحياء، ولا تعكر صفاء الذوق، ولا تهبط هبوط بعض الشعراء والكتاب في مثل هذا الموقف، بل جعلتنا نرتقي برقي الأسلوب، ونرتشف عذب العفاف في القول والعمل.

المبحث السابع: الدفاع والدعوة بالتي هي أحسن من أهم وسائل النصر

إن أهم عوامل النجاح أن يكون الداعية لَيِّنًا، وأن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأن ذلك هو مفتاح القلوب الذي لا يفتحها غيره. ومهما كان المدعو إلى الخير والحق غاية في الفساد، ومهما كان علَما في الظلم والاستبداد فإن الداعي لا ينبغي أن يحيد عن هذا الصراط الذي أمر به رب العباد، وهذا واضح وضوح الشمس في قصة موسى عليه السلام. فإن فرعون كان أطغى مَن على وجه البسيطة؛ فقد اعتدى على حقوق العباد، فأزهق أرواح الأبرياء، وسجن وعذب من لايتسحق ذلك، بل وتمادى في صلفه حتى ادعى لنفسه الألوهية والربوبية. ورغم كل هذا فقد أمر الله موسى وهارون، فقال: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى[46]}. فالدعوة باللين تفتح أبواب القلوب الموصدة، وتعيد النفوس اليائسة إلى حظيرة الإيمان[47].

ولقد حاول فرعون استدراج موسى ليذم أجداد الحاضرين، فسأله: { قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى[48]}. أراد فرعون أن يقول موسى إنهم كفار في النار، أو إنهم سفهاء ماتوا على غير التوحيد، أو يتلفظ بغير ذلك مما قد يثير الشك حول دعوته، ولكن فراسة الداعية، وما تلقاه من تربية وتقويم عصمته من الزلل، فجاء رده كما: {قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى[49]}.

---

46 طه: 43، 44.

47 النسفي (2005)، 366/2 ، الجزائري (2003م)، 350/3، الثعلبي، (2005 م)، 6/ 243، الخازن (1415 هـ)، 3/ 205.

48 طه: 49- 51.

49 طه: 52.

وحين جمع فرعون السحرة جيش دفاعه الأول، وأعد سلاحه الفتاك، وظن أن له الغلبة لا محالة، حمل موسى حملته بحسن الخطاب، وحذرهم من عاقبة الافتراء على الله رب الآرباب، وذكرهم بعقوبته سوء العذاب، فحذرهم تحذير المخلص المشفق، فقال: {... وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى[50]}. وكانت النتيجة أقوى من السحر في نفوس السحرة، وعمل بيانه فيهم عمل سحرهم في الناس، فانقسموا فيما بينهم قبل النّزال، وحاروا كيف يدفعون أثر هذا الخطاب عنهم { فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ ... * قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ... * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ...[51]}، ولكن هذا الخطاب البليغ والنصح الخالص سرعان ما أثمر. فلما رأى السحرة الحق، واطلعوا على المعجزة بأعينهم رسخ إيمانهم، ورغم أنهم كانوا يجابهون موسى طلبا للدنيا مع فرعون فقد صاروا يضحون بالنفس والنفيس من أجل الحق. فلما هددهم فرعون و{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ... * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ...[52]}.

المبحث الثامن: المحافظة على المكتسبات أمرٌ مهم

من الأقوال المشهورة: "من السهل الوصول إلى القمة، ولكن من الصعب المحافظة عليها". وهذه هي طبيعة الأشياء، فكما قال الشاعر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرنَّ بطيب العيش إنسان

وهذه هي كذلك طبيعة الدعوات جميعا، عندما تتخطى مراحل الابتلاء والمجابهة، وتصل إلى مرحلة التمكين تبدأ عوامل الضعف تدب في أوصالها، ولهذا فهي بحاجة إلى من يجددها، وينفض عنها غبار الدخيل عليها بين الحين والحين. ولهذا السبب يحاول كل نبي تعهد أتباعه، فيصحح أخطاءهم، ويقوّم اعوجاجهم، ويترك فيهم من الميراث ما يجنبهم هذه المنعطفات. وهنا نجد هذا الدرس بارزا فيما وقع من الفتنة لقوم

[50] طه: 61.
[51] طه: 62- 64.
[52] طه: 71- 73.

موسى بعد نجاتهم من فرعون، فقد كان ما عايشوه من إغراق لفرعون وجنوده كفيلا أن يلتزموا التوحيد ما عاشوا، ولكنهم بمجرد أن غمرهم الله بنعمة الأمن، وأنقذهم من العذاب والهلاك انحرفوا عن جادة الحق، ومالوا إلى ترف السفاهات التي وجدوا الناس عليها، فطلبوا الباطل [53]، وقالوا ما حكاه القرآن في قوله تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[54]}، عبدوا ما صنعه السامري فأضلهم.

ومن خلال هذه القصة يعلمنا القرآن الكريم أن على من يخطط لحياة الأمم أن يضع خططا للحفاظ على ما تحققه الأمة من مكتسبات، وذلك بمقاومة عوامل الفساد التي تدب عند تحقيق الأهداف، كما ينبغي له أن يضع أهدافا جديدة تجتمع عليها الجماهير، وتتعاون في تحقيقها، وأن لا يتركها فريسة لنشوة النصر، أو عرضة للصراع على المنافع والمصالح.

الخاتمة:

بينت الدراسة من خلال قصة موسى عليه السلام جوانب التخطيط الاستراتيجي التي أبرزتها. فكأنها تقول للقارئ تعلَّم كيف تخطط للأمور المهمة؛ فرغم أن قدرة الله لا تدانيها قدرة، ورغم أنه لو قال للشيء كن سيكون لا محالة فإنه يدبر ويخطط -إن صح التعبير- ويضع عوامل النجاح وفق نواميس الخلق، فينقذ نبيه من القتل وهو رضيع، ويعلم أمه خطة النجاة، بل ويتابع التنفيذ خطوة بخطوة، ويتدخل بشكل مباشر في تصحيح الأخطاء المحتملة قبل وقوعها، مثلما فعل مع أم موسى حين أوشكت أن تفضح أمر وليدها الذي أراد الله له النجاة، فأمرها أن تقذفه في اليم، فلولا أنه ثبت قلبها وطمأنها أنه لن يرده إليها فقط، بل سيجعله من الصالحين، وهذا غاية كل أمٍّ لوليدها.

كما بينت الدراسة كيف تم تنفيذ بقية الخطة، حيث هيأ الله لنبيه أسباب النجاة، وفق طبيعة الأشياء، فلم يخطر على بال فرعون أن الطفل الذي يربيه

[53] دروزة، (1987 م)، 2: 447- 452، شحاتة، (1999م)، 3: 1547- 1577، طنطاوي، (2006)، 134.
[54] الأعراف: 138.

في بيته هو نهاية ملكه، وسبب هلاكه، فجيش الدولة كلها لخدمته، وبدلا من أن يقتله كما قتل غيره من أطفال بني إسرائيل أصبح هو من يرعاه، ويتولى أمر تربيته، وكل ذلك بسبب ما ألقاه الله على موسى من المحبة، فجعل فرعون يراه قرة عينه.

ووفق نواميس الحياة أعاد الله موسى لأمه، فجعل الله أخته تتبعه، وتبلغ أخباره لأمه المفطورة القلب، ثم حرم المراضع على موسى، فاضطرب قصر فرعون، وتسابق المخلصون للملك في العثور على مرضعة يرضى عنها ولي العهد، حتى ذاع الخبر، واغتنمت أخته الفرصة فقالت لهم: ألا أخبركم بأهل بيت يحبونه ويخلصون له، ويقومون على رعايته لكم؟ فأسلم أهل القصر المتلهفون إلى إنقاذ حبيبهم موسى إلى أمه، لينعم بحنانها، وتقر عينها بقربه بعد فقد.

كما تناولت الدراسة كيفية إعداد الحق تعالى لموسى، وكيف كانت تربيته في كل مراحلها تربية تتناسب مع المهمة الصعبة التي أعده الله لها، كيف ظهرت نتائجها في صراعه مع الباطل. فبرز أدب النبوة في مجادلة الخصوم بالتي هي أحسن، وظهرت قوة موسى في موطنها عندما يحتدم الصراع، فكتب الله لدعوته النصر والغلبة، وهزم فرعون وجنوده شر هزيمة، حتى صار عبرة للناس إلى يوم الدين.

ثم خلصت الدراسة إلى أهم الدروس التي ينبغي أن يتعلمها المسلم من هذه القصة في جوانب التخطيط والإدارة، وأنه لاينبغي أن ننتظر النصر لمجرد أننا على الحق، بل علينا أن نأخذ بكل أسباب العلم، ونتلمس النصر في تحقيق نواميس الخلق. فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، بل علينا حسن السعي، وحسن القصد، وعلينا أن نعد، ونخطط، ونتابع، ونصحح الأخطاء، ونقيم النتائج لنصل إلى الهدف المنشود، فلسنا أقوى من الخالق المعبود.

ثبت المصادر والمراجع

ابن أبي زَمَنِين، محمد بن عبد الله. (2002م)، "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: بن عكاشة، حسين، الكنز، محمد بن مصطفى. الفاروق الحديثة: القاهرة، مصر.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1997م)، "التحرير والتنوير"، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، تونس.

ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز. (1996م)، ''تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس. (2002 م)، '' البحر المديد''، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (1999م)، " تفسير القرآن العظيم" تحقيق: سلامة، سامي بن محمد. دار طيبة للنشر والتوزيع: القاهرة، مصر.

ابن لطف الله، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القِنَّوجي. (1992م)، ''فتحُ البيان في مقاصد القرآن''، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، لبنان.

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد. (بدون تاريخ)، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. (1420هـ)، ''تفسير البحر المحيط'' تحقيق: جميل، صدقي محمد. دار الفكر، بيروت، لبنان.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى. (1980م)، ''زهرة التفاسير''، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي. (2002م)، "تفسير روح البيان"، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر.

البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1997م) ، "معالم التنزيل"، تحقيق: النمر، محمد عبد الله، ضميرية، عثمان جمعة، الحرش، سليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم. (2005م)، "الكشف والبيان في تفسير القرآن" ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر. (2003م)، ''أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير''، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر. (1405هـ)، "أحكام القرآن"، تحقيق: قمحاوي، محمد الصادق، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن. (1415هـ)، ''لباب التأويل في معاني التنزيل''، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الخطيب، عبد الكريم يونس. (1970م)، ''التفسير القرآني للقرآن''، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. (1407هـ)، ''الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل''، تحقيق: المهدي، عبد الرزاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1422هـ)، ''التفسير الوسيط''، دار الفكر، دمشق، سوريا.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1423هـ)، ''تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان'' تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. (المتوفى: 756هـ). ''الدر المصون في علوم الكتاب المكنون''، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. دار القلم، بيروت، لبنان.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد. (1997م)، ''تفسير الجلالين''، دار الحديث، القاهرة، مصر.

الشعراوي، محمد متولي. (1997م)، ''تفسير الشعراوي (الخواطر)''، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر.

الصابوني، محمد علي. (1993م)، ''صفوة التفاسير''، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.

الطبري، محمد بن جرير. (2000م)، ''جامع البيان في تأويل القرآن'' تحقيق: شاكر، أحمد محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

العاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي. (1965م)، ''بيان المعاني''، مطبعة الترقي، دمشق، سوريا.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. (1964م)، ''الجامع لأحكام القرآن''، تحقيق: البردوني، أحمد ، أطفيش، إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. (بدون)، ''لطائف الإشارات (تفسير القشيري)'' تحقيق: البسيوني، إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر .

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. (2005م)، ''تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)''، تحقيق: باسلوم، مجدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. (بدون)، ''تفسير الماوردي (النكت والعيون)'' تحقيق: عبد الرحيم، السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م)، '' تفسير المراغي''، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، مصر.

المظهري، محمد ثناء الله. (1412هـ)، ''التفسير المظهري''، تحقيق: التونسي، غلام نبي، مكتبة الرشدية، باكستان.

الناصري، محمد المكي. (1985م)، ''التيسير في أحاديث التفسير''، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار دار النفائس ـ بيروت 2005.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي. (1430هـ)، ''التَّفْسِيرُ البَسِيْط'' عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.

دروزة، محمد عزت. (1383هـ)، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

رشيد رضا، محمد بن علي. (1990م)، "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

شحاتة، عبدالله. (1999م)، '' تفسير القرآن الكريم''، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

طنطاوي، محمد سيد.(2006م)، '' القرآن الكريم والتفسير الميسر''، طبعة وزارة التربية والتعليم المصرية، القاهرة، مصر.

قطب، سيد. (1987م)، "في ظلال القرآن"، دار الشروق، بيروت، لبنان.

Gündüzöz, Soner. (2004), *"Musa Kıssasının Paradigmatik Yapısı"*, *Ekev*, sayı: 19, Bahar, Türkiye.

Şengül, İdris. (1996), "Kur'ân Kıssalarının Tarihi Değeri" *Diyanet İlmî Dergi*. Ci U: 32/4. Ekim-Kasım-Aralık 1996, Türkiye.

Kara, Necati. (1998) *"Kur'ân'a Göre Hz. Musa Firavun ve Yahudiler"* Seha Neşriyat, Türkiye.